التعريف بالمعجم اللغوى التاريخى

أولًا: تعريف المعجم لغة.

ثانيًا: تعريف المعجم اصطلاحًا.

ثالثًا: أنواع المعاجم.

رابعًا: تعريف المعجم اللغوى التاريخى.

خامسًا: فكرة المعجم التاريخى ومحاولات تنفيذها فى العربية وغيرها من اللغات الأخرى.

سادسًا: حاجة العربية إلى معجم تاريخى.

سابعًا: الموازنة بين المعجم الكبير والمعجم التاريخى.

التمهيد

التعريف بالمعجم اللغوى التاريخى

سأحاول فى هذا التمهيد أن أقوم بتعريف المعجم لغة واصطلاحًا، وأنواعه المختلفة بصفة عامة، وكذلك المعجم اللغوى التاريخى، وذكر ما يتصل به بصفة خاصة، وفكرته، ومحاولات تنفيذها، وحاجة العربية إلى معجم تاريخى، وأخيرًا عقد موازنة بين المعجم الكبير والمعجم التاريخى؛ وذلك على النحو التالى:

أولاً: تعريف المعجم لغة:

المعجم لغة بوزن (مُفْعَل) بضم الميم وإسكان الفاء وفتح العين، من الفعل (أَعْجَم) الذى هو ثلاثى مزيد بالهمزة (أَفْعَل). و (مُعْجَم) هنا اسم مفعول، أو اسم مكان؛ فعلى أساس كونه اسم مفعول يشير إلى الألفاظ التى أُزيلت عجمتها، وعلى أساس كونه اسم مكان يشير إلى الكتاب الذى تُعْرَض فيه الألفاظ التى أُزيلت عجمتها.

وتدور المعانى المعجمية التى عرضتها المعاجم اللغوية[1] للجذر(ع ج م) حول الدلالات الآتية[2]:

- جنس من البشر، العجم فى مقابل العرب.

---

(١) انظر مادة (ع ج م) فى المعاجم التالية: كتاب العين، للخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ)، دار الرشيد، العراق،١٩٨٠م، وتهذيب اللغة، لأبى منصور الأزهرى (ت٣٧٠هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، ١٩٦٤م، و لسان العرب، لابن منظور(ت ٧١١هـ)، دار المعارف، د. ت، ط.

(٢) يرى ابن فارس(ت٣٩٥هـ) أن " العين والجيم والميم ثلاثة أصول: أحدها يدل على سكوت وصمت، والآخر على صلابة وشدة، والآخر على عَضٍّ ومذاقة" ـ (معجم مقاييس اللغة، لابن فارس،، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، مادة ع ج م).

- نوى الزبيب والتمر.
- القوة والشدة والصلابة، وهذه الدلالة المعنوية منقولة عن الدلالة الحسية السابقة عليها؛ لأن نوى التمر والزبيب صلب شديد.
- الخفاء والإبهام وعدم الوضوح. ولعل هذه الدلالة المعنوية مفهومة ضمنًا من الدلالة الأولى؛ لأن العرب كانوا يطلقون (العُجْمة) وعدم الإبانة على كل الأمم غير الناطقة بالعربية؛ ومن هنا جاء استعمالهم للعجمة وصفًا للحيوانات، فهى عَجْماء، ومذكرها أعجم؛ لأنها لا تنطق ولا تبين.
- الوضوح والبيان، وهذه الدلالة نادرة جدًّا، انفرد بروايتها أبو الحسن اللحيانى الذى اشتُهر ـ أكثر من ابن الأعرابى ـ برواية النوادر فى الألفاظ والصيغ والمعانى.

ونفهم من الدلالات السابقة أن لفظ (مُعْجَم) مأخوذ من الدلالة التى تشير إلى الخفاء والإبهام وعدم الوضوح؛ لأن همزة (أفعل) هنا دالة على السلب والإزالة، وهذا معنى صرفى من معانى الزيادة ذكره الصرفيون، واستشهدوا عليه[1]، فيكون (مُعْجم) بمعنى: مُزال عجمته، أو مكان التوضيح وإزالة العجمة.

وهذا المعنى مفهوم من (إعجام) الخط العربى الذى أخذ العرب نظامه عن الأنباط فى أرجح الآراء، وكان خطًّا غير منقوط، وغير مشكَّل، ويتبع الترتيب السامى الشهير: أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ، فحوّله نصر بن عاصم- بأمر من الحجاج- إلى الترتيب العربى: ألف باء تاء ثاء...إلخ.

ونشأ عن ذلك الترتيب وعن عدم النقط نوع من العُجْمة والإبهام واللبس

---

(١) يقول ابن جنى: " أعجمت الكتاب: أزلت استعجامه" ويقول ابن سيده: " وهو عنده ـ ابن جنى ـ على السلب؛ لأن أفعلت وإن كان أصلها الإثبات قد تجيء للسلب؛ كقولهم: أشكيت زيدًا، أى زُلْتُ له عما يشكوه. وكقوله تعالى: { إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا } طه: ١٥ ، تأويله والله أعلم.. عند أهل النظر: أكاد أظهرها. وقالوا: عجّمت الكتاب للسلب والإزالة كذلك". (انظر: لسان العرب، مادة ع ج م).

والغموض بين أشكال الأحرف المتشابهة فى الخط؛ الأمر الذى استدعى وضع نَقْط الإعجام قياسًا على وضع نَقْط التشكيل الإعرابى للقرآن الكريم الذى وضعه أبو الأسود الدؤلى. ومن يومها ظهر تعبيرهم: (بالجيم المعجمة) فى مقابل (الحاء المهملة)، وكذلك: (الذال المعجمة) و(الدال المهملة)،... وهكذا. وظهر كذلك تعبير: (حروف الخط العربى المعجم) أى الحروف التى أُزيلت عجمتها بنقط بعضها، وإهمال بعضها الآخر[1].

ثانيًا: تعريف المعجم اصطلاحًا:

ظهر أول استعمال اصطلاحى للمعجم فى مجال مؤلفات الحديث النبوى الشريف ولا سيما ما يتعلق بعلم الرجال ورواة الحديث، وبدأ استعمال اللفظ أولًا فى صيغة المضاف إليه فى عنوان طويل من مثل: (رواة الحديث وعلماؤه المرتبة أسماؤهم على حسب حروف الخط المعجم). ورأى الناس أن هذا العنوان طويل؛ فتم اختصاره بحذف بعض مكوناته، فصار: (رواة الحديث مرتبين بحسب حروف المعجم)، وبعد ذلك تم اختصاره أكثر فأكثر إلى أن صار (المعجم) أو (المعجم الكبير) و(المعجم الصغير)...إلخ.

ثم شاع بعد ذلك تسمية الكتب المرتبة بحسب حروف المعجم بالمعجم، وانتقل هذا الاستعمال من مجال الحديث الشريف إلى مجال الفقه، ثم انتقل أخيرًا إلى مجال اللغة، واشتُهر فى هذا المجال كثيرًا، وأُطلق على كل كتاب يجمع كلمات اللغة ويرتبها ترتيبًا ما ويشرح معناها[2].

---

(١) سُميت الحروف العربية كلها حروف المعجم، مع أن نَقْط الإعجام لا يلحقها كلها، بل يُنقط بعضها، ويُهمل بعضها الآخر؛ وذلك لأنها يُزال إبهامها كلها بنقط بعضها وتمييزه عن بعضها الآخر، وهذا النقط أو الإعجام هو الذى يزيل الغموض والإبهام؛ ومن هنا سُميت كلها الحروف المعجمة لما زال عنها الإبهام. (انظر: لسان العرب: مادة ع ج م).

(٢) بدأ استعمال الكلمة بطريقة اصطلاحية فى الدلالة على الكتاب المرتبة كلماته على حسب حروف الخط المعجم،.. بدأ ذلك فى مجال الحديث النبوى، فظهر بداية من كتاب (المعجم) لأبى يعلى (ت ٣٠٧هـ)، ثم كتاب (معجم الصحابة)، وكتاب (معجم الحديث) لأبى قاسم البغوى (ت ٣١٧هـ)، وغير ذلك من كتب فى هذا المجال، ثم شاعت التسمية الاصطلاحية بعد ذلك. (انظر: المعجم=

ويرد على الذهن هنا ملاحظتان؛ أولاهما: أن كتب اللغة وترتيب مفرداتها وشرح معانى هذه المفردات، لم تطلق على نفسها اصطلاح (معجم) أو (معجمات) أو (معاجم)، وإنما أخذ كل كتاب عنوانًا له ذا بريق وإيحاء، مثل: (كتاب العين) للخليل بن أحمد، وكتاب (الجيم) لأبى عمرو الشيبانى، وكان هناك كتاب آخر فى اللغة يحمل الاسم نفسه ـ الجيم ـ لشمر بن حمدويه الهروى،.. وهكذا نقرأ العنوانات الآتية: الجمهرة، تهذيب اللغة، المجمل، المقاييس، القاموس المحيط، البارع، المحكم، العباب الزاخر... إلخ[1].

أما الملاحظة الثانية فتتعلق باستعمال لفظ (قاموس) مرادفًا- ترادفًا تامًّا أو ناقصًا- للفظ (معجم). ويرى بعض الدارسين أن ذلك الاستعمال ظهر بعد طباعة (القاموس المحيط) للفيروزآبادى، واشتهاره، وانتشاره بين أيدى الطلاب، فتم تعميم إطلاقه على كل معجم لغوى بعد اجتزاء النعت (المحيط)، والاكتفاء بالمنعوت (القاموس)[2].

ويُجمع (مُعْجَم) على (مُعْجَمات) جمعًا قياسيًّا، كما يكثر استعمال جمع التكسير(معاجم) بين العلماء والدارسين[3].

= العربى نشأته وتطوره، د. حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة، ط٤، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ١/ ١١، المعجم العربى ونظرات فى المعجم الوسيط، د. عدنان الخطيب، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ص ٢٠ ، والاتجاهات الحديثة فى صناعة المعجمات، د. محمود فهمى حجازى، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ٤٠، ١٩٧٧م.

(١) انظر: المعجم العربى ونظرات فى المعجم الوسيط، ص٢٢.

(٢) انظر: القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مادة (ق م س)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مادة (ق م س)، والمعجم العربى الأساسى، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٩م، مادة (ق م س).

(٣) يرى بعض العلماء أفضلية استعمال (معاجم) على استعمال (معجمات)؛ لأسباب منها:

- لأنها تجرى مجرى الأسماء، وتبعد أن تكون صفة، أو مصدرًا.
- نص القدماء على أن (مُفْعَل) تُجمع على (مفاعل) حين تجرى مجرى الأسماء.
- اعتاد أهل العصر استعمال كلمة (معاجم) وألفوها أكثر مما ألفوا استعمال (معجمات).. (انظر: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٢٥/ ٧٦ وما بعدها).

وإذا حاولنا التدقيق فى المعنى الاصطلاحى للمعجم فعلينا العودة إلى رائد المعجمات الأول (الخليل بن أحمد)؛ لأنه ـ إلى جانب تأليفه أول معجم لغوى عربى وصل إلينا كاملًا ـ إلى جانب ذلك كان قد شرع لنا كثيرًا من الخطوات، وذلَّل كثيرًا من العقبات، ونبهنا إلى كثير من خصائص الكلمات العربية، وكانت عنايته بجمع اللغة وشمول كتابه جميع مفردات العربية واستيعابها وإحصائها، وعنايته كذلك بترتيب هذه المفردات وتنظيمها داخل كتابه ترتيبًا ييسر العثور عليها، والاهتداء إلى معناها بأسهل الطرق ـ كان ذلك شغله الشاغل، وهو الذى جعل الدارسين يستخلصون شروط المعجم وكثيرًا من أركانه وصفاته، تلك الشروط التى يمكن الإجماع على اثنين منها، وهما: الترتيب والشمول، فلا معجم بدون حصر شبه تام للمفردات المراد عرضها بين دفتيه.

وقد عرَّف المعجم الوسيط لفظة (المُعْجَم) بقوله: "ديوان لمفردات اللغة مرتَّب على حروف المعجم". وعرَّف حروف المعجم بأنها " حروف الهجاء ". وعرَّف المعجم العربى الأساسى لفظة المعجم بقوله: " كتاب يضم مفردات لغوية مرتبة ترتيبًا معينًا، وشرحًا لهذه المفردات، أو ذكر ما يقابلها بلغة أخرى". وقد لاحظ المعجم العربى الأساسى أربعة ملامح فى التعريف هى: المحتوى (مفردات اللغة)، والترتيب، والشرح، وذكر المقابل بلغة أخرى؛ ويكون هذا فى المعاجم الثنائية أو متعددة اللغات، فى حين لاحظ الوسيط ملمحين هما: المحتوى والترتيب"[1].

ويتضح لنا أن اللغويين يقصدون بالمعجم: الكتاب الذى يضم مفردات لغة ما، ويثبت هجاءها ونطقها، ودلالتها، واستعمالها فى التراكيب المختلفة، ومرادفتها، واشتقاقها، أو أحد هذه الجوانب على الأقل، مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب غالبًا ما تكون هجائية[2].

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مادة (ع ج م)، والمعجم العربى الأساسى، مادة (ع ج م)، والمعجم العربى المعاصر، د. عمرو مدكور، دار البصائر، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٢٣.

(٢) انظر المعجم العربى المعاصر، ص٢٤.

ثالثًا: أنواع المعاجم:

يتبين لنا من قراءة (ببليوجرافيا) المعاجم التى عرفتها اللغة العربية أن هذه المعاجم يمكن تقسيمها إلى أنواع كثيرة وفقًا لوجهات النظر المتعددة. وسوف أعرض هنا لأشهر التقسيمات بما يخدم فكرة البحث وموضوعه، ويضيء جوانب مهمة من مباحثه وعناصره.

سبق القول: إن الخليل بن أحمد قد شرع كثيرًا جدًّا من الخطوات للمعجم العربى، ومن مجمل صنيعه نستطيع الانطلاق إلى الحديث عن أنواع المعاجم، تلك الأنواع التى تتضح فيما يلى:

١- معاجم الألفاظ ومعاجم المعانى:

ينطلق هذا التقسيم من منطلق المعجم نفسه، وما إذا كان يبدأ باللفظ ويشرح معناه، أو يبدأ بالمعنى ويسرد الألفاظ الدالة عليه. وكان الرواة واللغويون الذين شرعوا فى جمع اللغة قد سلكوا هذين الطريقين معًا، فلجأ بعضهم فى جمع الألفاظ الدالة على موضوع معين فى رسالة صغيرة، أو كُتَيِّب صغير، كما فعل الأصمعى وغيره فيما عُرف فيما بعد بكتب الصفات والغريب المصنف، مثل رسائل الإبل والخيل والسلاح والأدوية والأنهار والجبال والإنسان والحيات والأفاعى،... إلخ. وكان ذلك النوع من التأليف بداية الكتابة فى معاجم المعانى والموضوعات التى بلغت قمتها فى المخصص لابن سيده الأندلسى.

ولجأ كثير من اللغويين إلى النوع الثانى فألفوا فيه، وهو معاجم الألفاظ التى تبدأ باللفظ وتشرح معناه، وذلك مثلما حدث فى المعاجم العربية من لدن كتاب العين للخليل بن أحمد، حتى المعاجم الحديثة والمعاصرة، كالوسيط والوجيز والمنجد، وغير ذلك.

٢- معاجم المفردات ومعاجم الأبنية:

ينطلق هذا التقسيم من ملاحظة خصيصة من خصائص العربية، وهى خصيصة الاشتقاق التى تمنح الكلمات العربية المشتقة سمتًا معينًا وشكلًا قالبيًّا وصيغًا

موزونة بأوزان محددة؛ ومن هنا اهتمت بعض المعاجم بإيراد الوزن المعين، سواء كان وزنًا فعليًّا، أم اسميًّا أم مشتركًا بين الأفعال والأسماء، ثم تذكر جميع الأفعال الواردة فى اللغة على هذا الوزن، وتذكرها فعلًا فعلًا، وأمام كل فعل دلالته اللغوية، وكذلك تفعل مع الأسماء، وتفعل مع الأبنية المشتركة بين الأسماء والأفعال. ولعل ديوان الأدب للفارابى خير ما يمثل هذا النوع من المعاجم.

أما معاجم المفردات فما أكثرها؛ لأنها تكاد تغطى حركة التأليف المعجمى فى العربية بدءًا من (العين) للخليل بن أحمد، وانتهاء بالوسيط والوجيز والمعجم الأساسى وأمثالها.

٣- المعاجم الكبيرة والمتوسطة والموجزة:

عرفت العربية هذه التقسيمات منذ قديم، وإن لم تسمّها، أو تصطلح عليها؛ فعندنا معجم (العين) للخليل بن أحمد الذى يُعد من المعاجم الوسيطة الحجم بالمقارنة بمعجم (تهذيب اللغة) للأزهرى، ومعجم (لسان العرب) لابن منظور، ومعجم (تاج العروس) للزبيدى. أما معجم (أساس البلاغة) للزمخشرى فقد يُعد بين الوسيط والوجيز، ... وهكذا.

وفى العصر الحديث توجه القصد إلى صناعة معاجم كبيرة، ومعاجم وسيطة، ومعاجم وجيزة، أو معاجم (جَيْب)، وما قام به مجمع اللغة العربية بالقاهرة خير مثال على ذلك.

وهناك تقسيمات أخرى، لا داعى للخوض فى الحديث عنها فى هذا التمهيد الذى نحاول تخليصه إلى التعريف بالمعجم التاريخى.

رابعًا: تعريف المعجم اللغوى التاريخى:

بعد التعرض لتعريف المعجم بصفة عامة لغة واصطلاحًا، وبيان أنواع المعاجم بصفة خاصة نخلص إلى تعريف المعجم اللغوى التاريخى؛ وذلك من خلال تعريفات بعض القدامى والمعاصرين له، وقد جاءت بعض هذه التعريفات بصورة مباشرة، فى حين جاءت الأخرى بصورة غير مباشرة؛ وذلك على النحو التالى:

١- الأستاذ إسماعيل مظهر:

يعرف الأستاذ إسماعيل مظهر المعجم اللغوى التاريخى بأنه بمثابة ديوان شامل للغة يجمع إلى مفرداتها أساليب الاستعمال فيها، والمعانى التى تنقلت فيها المفردات على مر السنين وتتالى الأجيال، من المعنى الحقيقى إلى المجازى، وضروب ما أصاب المجاز من تحوير فى المعنى والاستعمال[١].

٢- المستشرق الألمانى أوجست فيشر[٢]:

لم يقدم فيشر فى مقدمته تعريفًا مباشرًا للمعجم التاريخى، ولكنه حدد طبيعته، والتى يمكن تلخيصها فيما يلى:

- منتهى الكمال لمعجم عصرى أن يكون تاريخيًّا.
- يجب أن يحوى المعجم التاريخى كل كلمة تُدوولت فى اللغة.
- أهمية التناول التاريخى تبدو من أن اللغة دائمة التطور، ولكل كلمة التطور التاريخى الخاص بها.
- تعتمد تجربته على سبعة أسس: التاريخية، والاشتقاقية، والتصريفية، والتعبيرية، والنحوية، والأسلوبية، والبيانية[٣].

٣- الدكتور عبدالله العلايلى:

يرى الدكتور عبدالله العلايلى أن المعجم التاريخى يبحث فى نشوء المادة وتطوراتها الاستعمالية، وتراوحها بين الحقيقة والمجاز، مقيدة بالعصور، كما يرى أن

---

(١) اللغة العربية وحاجتها إلى معجم لغوى تاريخى، الأستاذ إسماعيل مظهر، مجلة المجلة، السنة الرابعة، أبريل ١٩٦٠م، ص ١٦.

(٢) فيشر، أوجست August fischer (١٨٦٥م - ١٩٤٩م): أحد كبار المستشرقين الألمان، ولد فى "هالِه"، بحث أساليب العرب فى الكتابة، وتعمق فى دراسة معاجم اللغة العربية. كان من الجيل الأول الذين اختيروا لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة يوم إنشائه سنة ١٩٣٢م بالمرسوم الملكى لسنة ١٩٣٣م. (انظر: المجمعيون فى خمسة وسبعين عامًا، إعداد د. محمد مهدى علام، د. محمد حسن عبد العزيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

(٣) انظر: المعجم اللغوى التاريخى، فيشر، مجمع اللغة العربية، ١٩٦٧، ص ٥، ٧، ١٥، ٢٢.

المعجم التاريخى يدرس نشأة المواد وعروبتها أو تعريبها، واختلاف اللغات واللهجات فيها، وما يتصل بذلك من اختلاف فى النطق أو الصيغة أو المعنى أو الاستخدام، ويرتب ذلك ترتيبًا تاريخيًّا بحسب ظهور الصيغ.[١]

٤- الدكتور حسين نصار:

يؤكد الدكتور حسين نصار أن المعجم التاريخى يجب أن يحتوى على جميع الأساليب والتراكيب الخاصة التى اتخذت دلالات معينة، لا تتضح من المعنى المألوف للكلمات التى تتألف منها.[٢]

٥- الدكتور عبد المنعم عبدالله:

يعرف الدكتور عبد المنعم عبدالله المعجم التاريخى بأنه" ديوان يجمع مفردات اللغة، وفق نظام معين، مضبوطة ومشروحة مع مراعاة التطور الدلالى للفظ؛ بدءًا بالمعنى الحسى، وتدرجًا معه عبر التاريخ فى ضوء الشواهد المتنوعة، مع الإشارة إلى مظهر التطور قدر الإمكان"[٣].

٦- الدكتور فيدير كورينطى:

فى البداية يرى الدكتور فيدير كورينطى أن إعداد معجم تاريخى للغة العربية ليس أمرًا هينًا؛ ويعلل ذلك بطول تاريخ اللغة العربية وبُعد اتساعها على ثلاث قارات. أما اللغات الأوربية الحديثة التى قد تم لبعضها إنشاء معجم تاريخى بعد لأْى، فإن جميعها أقصر عمرًا من العربية، وأحدث عهدًا بإنتاج أدبى منتشر على أقاصى المعمورة. ومفهوم المعجم التاريخى لديه أنه معجم يجمع بين ذكر أصول ألفاظ اللغة والإدلاء بالشواهد المؤرخة لاستعمالها الأدبى والحوارى، اعتمادًا على

---

(١) انظر: مقدمة لدرس لغة العرب، د. عبدالله العلايلى، عن د.حسين نصار، ص٧٦٢، ٧٦٣، المعجم العربى نشأته وتطوره .

(٢) انظر: المعجم العربى نشأته وتطوره، ص٧٧٦.

(٣) انظر: المعجم العربى التاريخى(مفهومه- وظيفته- محتواه)، د. عبد المنعم عبدالله، بحث بمجلة المعجمية التونسية، العددان الخامس والسادس، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠)، ص١٦٠.

محتويات جميع المؤلفات الباقية إلى يومنا هذا، وعلى كل ما جرى أو لا يزال يجرى على ألسنة الناطقين من كلام فصيح أو عامى، أصيل أو دخيل[1].

٧- الدكتور أحمد محمد قدور:

يعرف الدكتور أحمد محمد قدور المعجم التاريخى بأنه المعجم الذى يهتم بتاريخ المفردات بدءًا من أقدم النصوص، حتى آخر ما وصلت إليه فى هذا العصر، ومنهجه وصفى تاريخى؛ لأنه معنىٌّ بتسجيل تاريخ الاستعمال ومكانه كما كان، دون توجيه أو تقييم[2].

٨- الدكتور شوقى ضيف:

يرى الدكتور شوقى ضيف أنه لا ينبغى أن نكتفى فى المعجم التاريخى بما فى المعاجم الكبرى من شواهد شعرية قديمة توضح استعمالات الكلم ومعانيها اللغوية حتى نهاية العصر الأموى؛ إذ لابد أن نضيف إليها عددًا ضخمًا من شواهد شعرية جديدة من العصر العباسى وما بعد العصر العباسى، توضح ما حدث من تطور لمعانى الألفاظ واستعمالاتها على مر الزمن.[3]

٩- الأستاذ أحمد شفيق الخطيب:

يرى الأستاذ أحمد شفيق الخطيب أن كل لفظة استُخدمت لدلالة معينة واكتسبت قدرًا من الشيوع فى الوطن العربى، على اتساعه، لها الحق فى أن تكون من مادة المعجم التاريخى ومداخله، وفى حال حملت اللفظة معنى مقاربًا أو مباعدًا أو مشتركًا يُشار إلى ذلك مع تحديد زمان ومكان ذلك مع الشواهد.

---

(١) انظر: دور العامية والساميات فى المعجم العربى التاريخى، د. فيدير كورينطى، بحث بمجلة المعجمية التونسية (العددان الخامس والسادس)، ص٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) انظر: تراث لحن العامة مصدرًا من مصادر المعجم التاريخى، د. أحمد محمد قدور، بحث بمجلة المعجمية التونسية (العددان الخامس والسادس)، ص٢٦٥.

(٣) انظر: صعوبات الاستشهاد فى المعجم العربى التاريخى، د. شوقى ضيف، بحث بمجلة المعجمية التونسية (العددان الخامس والسادس)، ص٤١٥.

وفى حال العاميات ـ وهى كثيرة ـ يُشار إلى الشائع منها فى الوطن العربى عمومًا والشائع جدًّا منها فى مناطق معينة مع تحديدها، أما الفصيح إن كان مصريًّا أو مغربيًّا فيُعتبر من الفصيح، حتى دون الإشارة إلى إقليميته.[1]

١٠ - الدكتور صادق عبدالله أبو سليمان:

يعرف الدكتور صادق عبدالله أبو سليمان المعجم التاريخى بأنه "كتاب موسوعى كبير يُفترض فيه أن يكون حاويًا لمسيرة اللغة عبر رحلتها الطويلة منذ بداية تاريخها المعروف والمسجَّل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا يعنى أن العمل فيه سَيَبقى متواصلًا، وأن لحظة القول بالانتهاء من إعداده تَعْنى بداية لتسجيل إضافات جديدة فى اللغة[2]".

ويرى سيادته أن "هذا المعجم وهو يحكى حياة اللغة يتناول مفرداتها مبنًى ومعنى واستعمالاتها المتنوعة، حيث يجول فى كل مفردة منها ليبين مبدأ استعمالها ومعناها الأول، وما إذا كانت الكلمة أصيلة فى لغتها أو أنها انتقلتْ إليها من لغة أخرى انتقالًا مباشرًا أو عبر لغة أخرى غير لغتها الأصلية، وهو هنا يَذْكُرُ اسم اللغة الأم التى انتقلت منها، واسم اللغة أو اللغات الوسيطة، وكذلك يبين ما طَرَأ على المفردة من تغيرات فى المعنى أو المبنى فى أساليب الكلام المتنوعة، مع العناية ببيان تاريخ التغير وبيئته، وما إذا كان للمعنى أو المبنى من خصائص بيئية أو سياقات معينة ذاع فيها، وهو فى كل ذلك يُعنى بالترتيب التاريخى ويعرض للأقدم أولًا ويذكر معه تاريخ ظهوره ومكانه، وإن طرأ عليه تغيير يلتزم مسألة الترتيب فى عرضه وذكر معه سنة حدوثه ومكانه، ووضح ذلك كله بشاهد يقتبسه من نصوص اللغة.

وهذا يعنى أنه ينبغى للمعجم التاريخى للغة أن يبين زمن ذيوع كل ما يرد فيه

---

(١) المعجم التاريخى للغة العربية، مجلة المجمع ١٠٩/ ١٠٧.

(٢) المعجم التاريخى للعربية، د. صادق عبدالله أبو سليمان، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ١٠٩، مايو٢٠٠٧م، ص١٢٢.

من مفردات وتراكيب وأساليب وأمثال وغيرها، وكذلك زمن قلة استعمالها أو هجرها أو إعادة إحيائها سواء بالمعنى نفسه أو بتغيير فيه أو فى مبناه[1]".

١١- الدكتور على القاسمى:

يعرف الدكتور على القاسمى المعجم - بصفة عامة - بأنه كتاب مطبوع أو محوسب يحتوى على كلمات منتقاة، تُرتب وفق نظام معين، مع معلومات ذات علاقة بها سواء أُعطيت تلك المعلومات باللغة ذاتها أم بلغة أخرى. ويعرف المعجم التاريخى ـ بصفة خاصة ـ بأنه نوع من المعاجم يرمى إلى تزويد القارئ بتاريخ الألفاظ ومعانيها من خلال تتبع تطورها منذ أقدم ظهور مسجل لها حتى يومنا هذا. وذلك يعنى أمرين:

الأول: أن يضم المعجم التاريخى كل لفظ استُعمل فى اللغة، سواء يُستعمل فى الوقت الحاضر أم لا. الثانى: أن يوثق المعجم تاريخ كل لفظ فى " شكله ومعناه واستعماله" ممثلًا لهذا اللفظ بعدد من الشواهد، ابتداء من أول ظهور معروف لذلك اللفظ حتى آخر استعمال له.

ويرى الدكتور القاسمى أن "المعجم التاريخى لابد أن يوثق كل لفظ فى "شكله ومعناه واستعماله". والمقصود بالشكل هو الشكل الإملائى للفظ (مثل: "الرحمن" فى المشرق العربى، و"الرحمان" فى المغرب العربى). أما المعنى فيُشرح بالتعريف الذى يورده المعجم. أما كلمة "استعماله" فتعنى المعلومات الصوتية والصرفية والنحوية والأسلوبية التى تتعلق باللفظ ".[2]

١٢-الدكتور داود حلمى السيد:

يرى الدكتور داود حلمى السيد أن " المعجم التاريخى يسجل مفردات اللغة؛ فيذكر مثلًا أصل الكلمة والتغيير الذى طرأ على بنائها ومعانيها ومرتبتها الاجتماعية

---

(١) المعجم التاريخى للعربية، مجلة المجمع ١١٠/ ١٢٢.

(٢) انظر: الشواهد فى المعجم التاريخى، د. على القاسمى، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ١١٠، مايو٢٠٠٧م، ص٦٥، ٦٦.(بتصرف).

عبر الزمن، ويبين المعجم ـ ممثِّلًا بضرب الأمثلة وسرد الشواهد ـ كيف يتبدل معنى الكلمة ويتأرجح عبر القرون والسنين بين المعنى الخاص والمعنى العام، والمعنى المهذب المتسامى والمعنى الهابط المبتذل، وكيف تُبعث كلمات اندثرت لتؤدى معانى جديدة، أو كيف تتغير أسماء المسميات باستخدام المحسنات البلاغية تشبيهًا ومجازًا واستعارة".[1]

١٣ - الدكتور على توفيق الحمد:

يعرف الدكتور على توفيق الحمد المعجم التاريخى بأنه: " سجل شامل لكل مفردات اللغة العربية الأصلية منها والمعربة والدخيلة والمولدة، التى استُخدمت فى تاريخ حياة اللغة منذ بدايتها الموثقة حتى الآن، على مستوى لغة التأليف والكتابة، مع بيان تطور كل كلمة ورسمها، وما طرأ على نطقها أو رسمها أو صيغتها أو تصريفها منذ وجودها حتى اليوم، وتأصيلها، واستخداماتها المختلفة، ومستويات تلك الاستخدامات، ومعانيها ودلالاتها المختلفة، ومستويات تلك الدلالات، ووظائفها التركيبية ـ النحوية، وموقعها ـ إن كان محددًا ـ فى الجملة، وإيراد النصوص والاقتباسات ـ الشواهد ـ الدالة التى وردت فيها الكلمة، وتوضح معانيها المختلفة، واستعمالاتها الدقيقة؛ كل ذلك على أساس التدرج الزمنى؛ ليوضح التطور التاريخى لكل لفظة أو معنى، على أن تُرتب كل المفردات ترتيبًا يناسب خصائص لغتنا الاشتقاقية، ويحفظ وحدة المشتقات التى تنتمى إلى أصل ـ جذر ـ واحد وترابطها؛ ليبين علاقتها بمعنى الجذر، ويوضح ما بينها من علاقات على مستوى اللفظ والمعنى؛ على أن يكون ميسورًا سهل المأخذ والتناول، وأن يرتب المعانى على أساس منطقى يتدرج من الحقيقى إلى المجازى، ومن العقلى إلى الحسى، ومن العام إلى الخاص؛ كل ذلك بأسلوب وصفى محض"[2].

---

(١) المعجم الإنجليزى بين الماضى والحاضر، د. داود حلمى السيد، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٧٨م، ص١٦.

(٢) المعجم التاريخى العربى (مفهومه – وظيفته – محتواه)، د. على توفيق الحمد، بحث بمجلة المعجمية التونسية، ص١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥.

١٤ - الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجرى:

يرى الدكتور التويجرى أن صناعة المعجم بأى لغةٍ كانت أصبحت صناعة ثقيلة بالمعايير العلمية، وأن صناعة المعجم التاريخى تأتى فى المقدمة منها؛ لأنها تتطلب تتبع مسار تطور استخدامات الألفاظ، والوقوف على دلالاتها التى تتغير من زمن إلى آخر، خصوصًا فى العقدين الماضيين اللذين زادت فيهما وتيرة المتغيرات فى جميع المجالات، لدرجة أن ألفاظًا كثيرة فى اللغة العربية قد عرفت فى عصرنا هذا تحولًا عميقًا فى المعنى والدلالة بحيث انقلب بعضها من النقيض إلى النقيض؛ إذ كانت فى الأصل شريفة المعنى، فأصبحت مثار الشبهة لأسباب كثيرة.[١]

١٥ - الدكتور محمد رشاد الحمزاوى:

أطلق الدكتور الحمزاوى على المعجم التاريخى العربى اسم " متع"؛ لأن مفهوم التاريخية مقدم بحسب تخصصه على لغته، فضلًا عما فى هذا الاسم المنحوت من إيجاز فى الاستعمال وتخصيص، وتبرك بثمراته الممتعة المنتظرة، وعن اختلافه بمعاجم أخرى يُخشى أن تُخلط به.

وينظر الدكتور الحمزاوى إلى " متع" من حيث مفهومى التأصيلية (Etwmology- Etwmologie) والمقارنة (Comparatism- e) وصلتهما بمفهوم التاريخية (Historicite- y). ويرى أن مصادر المعجم ومراجعه يجب أن تكون بحسب الزمان والمكان، وباعتبار مفهوم مصطلح " المدونة " فى نظر اللسانيات الحديثة. ويؤكد الدكتور الحمزاوى على ضرورة منزلة الألفاظ والأساليب العربية الفصيحة البحتة التراثية والمتطورة منها، ومنزلة الألفاظ والأساليب المعربة والدخيلة قديمًا وحديثًا، ومنزلة وحدة المصطلح العلمى القديم، ولاسيما الحديث منه، وصلته بمفهوم " التقييس" المعتمد فى اللغات الرائدة، طمعًا فى توحيد المصطلح العربى المعجمى، وأخيرًا يؤكد ضرورة المعجم الحاسوبية المقيسة.[٢]

---

(١) المعجم التاريخى للغة العربية فى ضوء متغيرات الألفية، د. عبد العزيز بن عثمان التويجرى، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد١١٠، ص١٧٥، ١٧٦. (بتصرف).

(٢) المعجم التاريخى العربى: قضاياه وطرق إنجازه، د. محمد رشاد الحمزاوى، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ١٠٩، ص٧٤، ٧٥. (بتصرف).

١٦- الدكتور عبدالكريم خليفة:

يرى الدكتور عبدالكريم خليفة أن جوهر المعجم التاريخى يقوم على تتبع سيرة كل كلمة من كلمات اللغة العربية، وذلك من خلال النصوص، وفق أقدم نص وصل إلينا، نقشًا أو كتابة فى الصحف، أو على أوراق البردى، مخطوطًا أو منشورًا، وتبيان التغيرات التى طرأت عليها من حيث الاشتقاق والإبدال والإعلال والنحت، وتطور معانيها فى مختلف العصور، حتى الوقت الحاضر، وأنه من الواجب أن يبرأ المعجم التاريخى من الخلط بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى، وأن ينأى بنفسه عن عدم الدقة فى تحديد المعانى واستقصائها، وأن من حق كل كلمة وردت فى هذه النصوص قديمًا أو حديثًا، أن تجد سيرة حياتها، وأن تُفسر.

خامسًا: فكرة المعجم التاريخى ومحاولات تنفيذها فى العربية وغيرها من اللغات الأخرى:

أشار كتاب صديقى الأستاذ مصطفى محمد صلاح، وهو بعنوان: "الاستشهاد فى المعجم اللغوى التاريخى" إلى هذه المحاولات، وقد حاولت فى هذا الكتاب مع كتاب الأستاذ مصطفى محمد صلاح نقل موضوع المعجم اللغوى التاريخى من باب التنظير الشكلى إلى مجال البحث الأكاديمى المتخصص؛ وذلك بهدف الوصول إلى تصور مبدئى يكون سببًا فى هداية واضعى المعجم التاريخى الذى تبناه اتحاد المجامع اللغوية العربية بالقاهرة بناءً على مبادرة كريمة من سمو الشيخ الدكتور سلطان القاسمى (أمير الشارقة).

وسوف أعرض هذه المحاولات حتى يكتمل الموضوع بشقيه النظرى والعملى على النحو التالى:

١- محاولة المستشرق الألمانى أوجست فيشر:

يُعَدّ فيشر من باكورة أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حيث تم تعيينه بالمرسوم الملكى سنة ١٩٣٣م، وقد حاول فيشر صنع معجم تاريخى متأثرًا فى ذلك بمعجم أكسفورد التاريخى، وقد قضى نحو أربعين سنة فى جمع مادته وتنسيقها، وحين عرضها على مجمع اللغة العربية بالقاهرة رحَّب المجمع بالفكرة، ووعدته الحكومة المصرية بتحمل نفقات طبع المعجم، وأمدته بمساعدين لمعاونته.

ولكن سرعان ما نشبت الحرب العالمية الثانية، واضطُر "أوجست فيشر" إلى العودة إلى وطنه، وتفرقت مواد المعجم بين مصر وألمانيا، ثم ما لبث أن توفى عام ١٩٤٩م.

وحاول المجمع أن يحصِّل هذا الشتات من الجهد الذى قام به "فيشر"، فلم يستطع الحصول على ما نقله من بطاقات إلى ألمانيا، ووجد أن ما لديه غير مكتمل، ولم يجد ما يصلح للنشر إلا مقدمة أعدها "فيشر" بنفسه، ونموذجًا من حرف الهمزة إلى "أبد" فطبعها المجمع[١].

٢- معجم أكسفورد للغة الإنجليزية:

يغطى معجم أكسفورد مفردات اللغة الإنجليزية بشكل كامل، فهو يذكر مع كل كلمة معانيها عبر التاريخ موضحة بشواهد مؤرخة من سنة ١١٥٠م حتى صدور طبعة سنة ١٩٧١م، هذا إلى جانب طرق هجاء الكلمة عبر كل مرحلة من مراحلها التاريخية، ومعالجة كل كلمة إيتومولوجيًّا على أسس علمية تاريخية سليمة، ولقد تم جمع أكثر من ٥,٠٠٠,٠٠٠ بطاقة دُوِّنت عليها الكلمات وشواهدها مقتبسة من ٥٠٠٠ مؤلف من مختلف العصور، سُجّل فى المعجم منها ١,٨٢٧,٣٠٦ شاهد لتوضيح ٤١٤,٨٢٥ مادة هى كل مواد المعجم[٢].

ومعجم أكسفورد التاريخى تم تحديثه أكثر من مرة، وفى عام ١٩٩٣ تم إدراج مواد جديدة، وشواهد كثيرة، وكثير مما تم إضافته من مواد يُعد مواد جديدة تمامًا، وأخرى تضم معانى جديدة ومترادفات تعمل بدورها مكملًا للمادة التى ضمتها الطبعة السابقة.

وبعد أن صدرت الطبعة الثانية من معجم أكسفورد للغة الإنجليزية عام

---

(١) انظر: مقدمة المعجم اللغوى التاريخى، بقلم: إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، ط١، ١٩٦٧م، والبحث اللغوى عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٢٧٤.

(٢) المعجم الإنجليزى بين الماضى والحاضر، ص٨٥.

١٩٨٩م، كان هناك ما يقرب من ألفى مادة جديدة بشواهدها بين يدى فريق التحرير، والتى كانت تقترب من مراحل اكتمالها الأخيرة، وفى كل عام كان يتم تحرير عدد مساوٍ من المواد الجديدة لإضافتها لقاعدة البيانات الخاصة بمعجم أكسفورد للغة الإنجليزية (OED)؛ وذلك خلال فترة مراجعة القاموس للعمل على إصداره فى طبعته الثالثة.

وتجدر الإشارة إلى أن معظم هذه المواد الجديدة جاءت نتيجة مباشرة للتحليل النظامى لملفات الإشارات المرجعية الخاصة بقاموس أكسفورد للغة الإنجليزية، والتى كان يُزاد عليها كل عام ما يربو على مئتى ألف استشهاد فى اللغة الإنجليزية، كانت تُجمع عن طريق برنامج القراءة العالمى التابع للقاموس.

وبعض هذه المواد الجديدة تمثل مجموعة من التطورات المتغايرة التى تعرضت لها اللغة على مدار القرون القليلة الماضية؛ فبعض هذه المواد عبارة عن مواد أُغفلت فى الطبعات الأولى من القاموس، وأخرى تتناول بعض الموضوعات التى برزت حديثًا، فى حين أن بعض المواد الأخرى تتمثل فى مواد يتشعب منها عدة معانٍ فرعية كانت تُعامل من قبل على أنها مستقلة بذاتها.

وكان لاستخدام الحاسب الآلى فى عملية تحرير معجم أكسفورد فوائد عدة ساعدت فريق التحرير فى أثناء عملية إعداد المواد الجيدة، وعادة ما تساعد الإشارات المرجعية التى يشتمل عليها القاموس فى المقارنة بين المواد لتحديثها؛ هذا بالإضافة إلى أنه يمكن الوصول إلى توافق كبير فى الأسلوب بين جميع المواد من خلال المقارنة التى تتم من خلال الاستعانة بالحاسب الآلى؛ وذلك بين أساليب تحرير المواد التى تتشابه مع المواد التى تخضع للدراسة والاطلاع فى الوقت الحالى[١].

أما معجم أكسفورد التاريخى الوجيز فى اللغة الإنجليزية؛ فقد جاء فى مقدمته أنه نسخة مختصرة أو موجزة من المعجم التاريخى الحديث للغة الإنجليزية، الذى عُرف

---

(١) The Oxford English Dictionary. CD-Rom.Version.3.0 Oxford university press. Introduction. ، وانظر أيضًا موقع أكسفورد على الإنترنت : www.OED.Com

فيما بعد باسم " معجم أكسفورد للغة الإنجليزية "، ولقد دعت الحاجة إلى مثل هذا النوع المختصر من هذا العمل العظيم منذ البداية؛ بل إن نشر هذا العمل يُعد تنفيذًا لأحد النصوص الواردة ضمن الاتفاقية التى أُبرمت فى عام ١٨٧٩م، بين الجمعية الفيلولوجية البريطانية ومطبعة جامعة أكسفورد، وقد جاءت الفقرة التى تتعلق بهذا التعاقد كما يلى:

" يجوز للمفوضين ـ متى ظنوا أن فى ذلك فائدة ـ أن يقوموا بإعداد ونشر أى معاجم مؤلفة أو مختصرة، مأخوذة من المعجم الأساسى، كما يجوز لهم تناول الشكل الذى يظنون أنه ملائم بأية طريقة؛ وفقًا لما يرونه دون شرط أو قيد"[1].

٣- المعجم التاريخى للغة الفرنسية:

احتوى هذا المعجم على الكلمات الفرنسية المستخدمة والمندثرة، كما احتوى أيضًا على أصول الكلمات، وتاريخ أول استخدام لها منذ عام ٨٤٢ م، حتى الآن، كما احتوى على تاريخ مفصل للكلمات، به معانيها المختلفة واستخداماتها المتتابعة.

وسبب تأليف هذا المعجم يرجع إلى افتقار اللغة الفرنسية إلى وصف تاريخى لها يتضمن البحث فى أصول المفردات وبيان استخداماتها على مر الزمان.

ويتميز المنهج المعتمد فى هذا المعجم بالبساطة؛ فكل مادة من مواده ـ باستثناء المقتطفات الموسوعية ـ تصف وحدة من وحدات اللغة الفرنسية الحالية، وفى بداية كل مادة يوضح المعجم للقارئ تاريخ ظهور الكلمة فى اللغة الفرنسية، أى تاريخ أول شاهد معروف ورد فى نص ما، كما يلقى الضوء على صورها الأصلية (أصل الكلمة) والمراحل التى مرت بها؛ حيث يقوم بتعميق البحث فى أصل الكلمة حتى جذورها ـ الهندية الأوربية فى الأغلب ـ إذا أمكن ذلك، ويصف طرق وصولها إلى الفرنسية فى حالة معرفتها.

وقد اعتمد المعجم فى جمع المادة والشواهد على جميع المصادر المنشورة، واعتمد على أعمال أخرى لم تُنشر بعد، كانت قد وصلت إلى هيئة التحرير.

---

(١) الاستشهاد فى المعجم اللغوى التاريخى ، ص ٩٤، ٩٥.

وقد احتوى المعجم على رسوم بيانية موضحة فى مواضع كثيرة من المعجم كى تجسد بيانًا للعلاقات القائمة بين القوالب والمعانى عبر الزمان، أما المقالات الموسوعية التى اشتمل عليها لبعض المواد (الخاصة بتفسير تاريخ الكلمات)؛ فقد أرفقها المعجم بهدف الوصول بالقارئ إلى الانطباع العام بتطور اللغة من خلال مفرداتها، وهذه المقالات جاءت أكثر تحليلًا، وتتعلق باللغات (الكتلانية والأوسيتانية والإيطالية والألمانية واللاتينية واليونانية والإنجليزية والبسكية)، والأسر اللغوية (الهندية الأوربية والجرمانية وبالتأكيد الرومانية) ذات الصلة باللغة الفرنسية؛ لأن اللغة الفرنسية وانتشارها قد حظيا أيضًا بوصف تاريخى، كما تتناول هذه المقالات بعض المفاهيم اللغوية؛ مثل: الاقتراض، والصور البلاغية، واللغة الاصطلاحية.

٤- المعجم التاريخى للغة العبرية:

وهو يستهدف احتواء مفردات اللغة العبرية عبر التاريخ، مشتملًا على كل كلمة عبرية وتطورها صرفًا ومعنى وسياقًا ومضمونًا منذ أول ظهور لها فى نصوص مكتوبة حتى الآن، وقد بدأ العمل الفعلى فى هذا المشروع عام ١٩٥٩م، وبعد أن قرر المشرفون استخدام الحاسب الآلى أضيف إلى قواعد البيانات والمصطلحات فى المعجم حتى عام ٢٠٠٤م حوالى ثلاثة آلاف وخمسمئة مصدر، تراوحت بين نقوش أو عملات قديمة ومئات ألوف الكلمات والمصطلحات؛ مما استحق أن يكون مدخلًا فى المعجم[(١)].

٥- مشروع المعجم التاريخى العربى بتونس:

كانت كلية الآداب بتونس وراء هذه المبادرات، وكذلك مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، وجمعية المعجمية العربية "مجلة المعجمية"، وقد عُقدت ندوة بعنوان "المعجم العربى التاريخى: قضاياه ووسائل إنجازه" وقد نُشرت وقائعها فى العددين الخامس والسادس سنة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م/ ١٤١٠هـ -

---

(١) انظر: صناعة المعجم الحديث، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٥٧.

١٩٩٠م)، وانطلق هذا المشروع من أول جلسة بتاريخ ٧ فبراير ١٩٩٠م، ووضع برنامج بحث له[١].

٦- تجربة إسبانيا فى صناعة معجم تاريخى:

أعلنت الأكاديمية الإسبانية الملكية فى شهر يناير عام ٢٠٠٥م أنها ستبدأ بالتعاون مع أكاديميات بلدان أمريكا اللاتينية فى إعداد معجم تاريخى للغة الإسبانية يشمل مئة وعشرين ألف مدخل، ويقع فى حوالى اثنى عشر مجلدًا، ويستغرق تصنيفه سنوات عديدة. وقد قررت الحكومة الإسبانية تخصيص مبلغ مليون ونصف مليون دولار إضافى للأكاديمية فى كل سنة من سنوات تأليف المعجم، ويستفيد محررو هذا المعجم من قاعدة معلومات الأكاديمية، خاصة مدونتها التاريخية للغة الإسبانية، التى تضم خمسين مليون معلومة لغوية[٢].

سادسًا: حاجة العربية إلى معجم تاريخى:

تتضح الحاجة الملحة إلى صنع معجم لغوى تاريخى للغة العربية من خلال النقاط التالية:

١- عدم تسجيل المعاجم القديمة للمعانى الجديدة التى استحدثها شعراء العرب وأدباؤهم وعلماؤهم وفلاسفتهم عندما وُضعت هذه المعاجم؛ حيث استخدموا هذه المعانى لأغراضهم الفنية، فلم يدخل كثير منها معاجم اللغة، فظلت متناثرة فيها، يتناقلها الأدباء ويرويها الرواة، فإذا أردت الرجوع إلى تاريخ الاستعمالات التى تواردت على الألفاظ ولم تحصرها المعجمات؛ لأنها تدخل فى باب المجاز أو الاستعمال العلمى- فإنك لن تجد ما يفى بذلك .. إذن فمفردات اللغة العربية محصورة من ناحية، ومشتتة من ناحية أخرى، محصورة فى المعاجم من حيث معانيها الحقيقية، ومشتتة من حيث المعانى المجازية التى تواردت عليها، أو الاستعمالات العلمية والفلسفية والتصوفية، أو غير ذلك مما نُقلت إليه الألفاظ.

---

(١) المعجم التاريخى العربى: قضاياه وطرق إنجازه، مجلة المجمع ١٠٩/ ٨٥.

(٢) الشواهد فى المعجم التاريخى، مجلة المجمع ١١٠/ ٧٢.

٢- بيان التناول التاريخى والتغير الدلالى للغة العربية عبر كل العصور وفى مختلف الثقافات. يقول الأستاذ الدكتور **كمال بشر**: "وأظنه ليس بدعًا أو خيالًا أن نأخذ فى الحسبان عاملًا من أهم العوامل التى تفى بحقها علينا (أى اللغة العربية) أو بحق أجيال أهليها، ذلك العامل فى رأينا ورأى الثقات العارفين – هو محاولة صُنع معجم تاريخى لها يحكى مسيرتها عبر الزمان والمكان، أسوة بما صُنع لكثير من اللغات التى حظيت بهذا الصنيع، ووفاء بحقها واعتزازًا بدورها فى بناء قوميات أصحابها. ولا يخفى على أى منا أن إصدار معجم تاريخى للغة العربية كان وما زال وسيظل حلمًا لكل المشتغلين والمهتمين باللغة العربية على اختلاف جنسياتهم ومشاربهم بل وتخصصاتهم، ولن يتوقف التفكير فى هذا الحلم إلا بإصدار هذا المعجم[(١)].

٣- المعجم اللغوى التاريخى يجب أن يحوى كل كلمة تُدوولت فى اللغة؛ فإن جميع الكلمات المتداولة فى لغة ما لها حقوق متساوية فيها، وفى أن تعرض أطوارها التاريخية فى معجماتها[(٢)].

٤- المعجم التاريخى سيحدث ثورة فى الدراسات التاريخية واللغوية، وسيكشف للباحثين عن كنوز كانت دفينة، وعن معارف لم تكن متاحة من قبل.

فالمعجم التاريخى للغة العربية ليس فحسب ديوانًا للعربية يضم بين دفتيه مفرداتها وأساليبها، مبانيها ومعانيها، ما استُخدم منها وما أُميت أو هُجر، ما حدث لها من تغير عبر الأزمان والأصقاع، بل سيكون كذلك ديوانًا لتاريخ العرب والمسلمين، ديوانًا للأحداث الكبرى من فتوح وحروب وهجرات وكوارث، ديوانًا لحياتهم الاجتماعية بنظمها وبمظاهرها المادية والروحية، ديوانًا لأفكارهم ومشاعرهم، ديوانًا لعلومهم، ومعارفهم وخبراتهم، ديوانًا لعلاقتهم بالشعوب

---

(١) حول المعجم التاريخى للغة العربية، مجلة المجمع ١٠٩/ ٣١.

(٢) انظر: المعجم اللغوى التاريخى، فيشر، ص٧.

الأخرى ولتأثيرهم فيها وتأثرهم بها. ولا نبالغ إذا قلنا: "المعجم هو الوجه الآخر للحياة الإنسانية بكل تجلياتها المادية والروحية"[1].

٥ ـ أن اقتصار المعاجم العربية التى وصلتنا عن أسلافنا على إثبات معانى المفردات والتراكيب، وذكر اختلاف هذه المعانى باختلاف مبناها الشكلى ـ وهو عمل جليل الفائدة لا شك ـ بيد أن شعراء العرب وأدباءهم وعلماءهم وفلاسفتهم قد أدخلوا على معانى هذه الألفاظ معانى جديدة استخدموها أداء لأغراضهم الفنية؛ فلم يدخل كثير من هذه المعانى معاجم اللغة ومظانّها، فظلت متناثرة يتناقلها الأدباء، ويرويها الرواة، فإذا أردت الرجوع إلى تاريخ الاستعمالات التى تواردت على الألفاظ ولم تحصرها المعجمات، لم تقع فى معاجم اللغة على شىء من ذلك[2]، وكذلك كتب التراث؛ فلا نجد فيها إشارة إلى التطور التاريخى لمدلولات الكلمة الواحدة.

٦ ـ أن النقص الظاهر فى المعجمات التى صنفها العرب يرجع إلى أن مصنفيها ما كانوا يجمعون كل مفردات اللغة؛ بل كانوا يجمعون الفصيح منها فقط، ومنتهى الكمال لمعجم عصرى أن يكون تاريخيًّا[3].

ويضيف الدكتور صادق عبدالله أبوسليمان بعض أوجه حاجة العربية إلى معجم تاريخى؛ وهى كالتالى:

٧-" حاجة علماء العربية إلى التعرف على تاريخ استعمال معانى مفردات اللغة العربية، فكما هو معروف فى الدرس اللغوى فإن لكل كلمة أو تركيب قصة حياة؛ فتارة تراه ذائعًا، وتارة يفتر استعماله أو ينقرض، وتارة تراه يتعرض لبعض تغيير صوتى أو بينوى أو دلالى، أو تراه يغدو مصطلحًا علميًّا، أو يغدو ذا دلالات مجازية أو بيئية، وهلم جرًّا.

---

(١) المعجم التاريخى للغة العربية. د. محمد حسن عبد العزيز. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة. ط١، ٢٠٠٨، ص٤٢.

(٢) انظر: المعجم اللغوى التاريخى، ص٥.

(٣) اللغة العربية وحاجتها إلى معجم لغوى تاريخى، ص١٣.

٨- حاجتنا فى العربية إلى معرفة أصول كثير من الكلمات المقترضة قديمًا وحديثًا؛ فالعربية تنتمى إلى عائلة اللغات السامية كالسريانية والعبرانية والآرامية والأشورية أو البابلية والفينيقية والسامرية والسبئية أو الحميرية والحبشية وغيرها. وهى فى تاريخها الطويل اتصلت بلغات كثيرة كالسومرية والمصرية القديمة والبربرية والبابلية والكردية واليونانية والفارسية والتركية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية وغيرها.

٩- أن الكشف عن علاقة العربية بهذه اللغات وغيرها مهم جدًّا للبحث التاريخى المقارن، فنحن بحاجة إلى معرفة دقيقة بتأثير هذه اللغات فى لغتنا العربية وتبين بقايا آثار اللغة السامية فيها، وكذلك نحن بحاجة إلى تلمس آثار لغتنا العربية فى غيرها من اللغات.

١٠- أن التعرف على هذه اللغات وخصائصها فى الصوت والمقطع وبناء الكلمات وتركيب جملها سيكشف عن خبايا كثيرة فى العربية، وسيسهم إسهامًا كبيرًا فى تحقيق متطلبات إنجاز معجم اللغة العربية التاريخى، فليس من شك فى أن لهذه اللغات آثارًا فى عربيتنا، ولا سيما المحكية.

١١- عثور العلماء وهم يقرأون الكتب القديمة من علمية أو تاريخية أو فلسفية أو غيرها على كلمات أو مصطلحات أو دلالات لم تسجلها المعجمات التى خلفها الأسلاف؛ الأمر الذى دفعهم إلى القول بضرورة استقراء دواوين القدماء الشعرية، ومصنفاتهم فى مختلف تخصصاتها؛ بغية الاستفادة منها فى مجال تنمية العربية، واستعمالها فى مجالات الكلام المتنوعة، وتسجيل صحاحها وحفظها فى المعجم العربى لإفادة الأجيال العربية اللاحقة منها.

١٢- ضرورة متابعة جمع مفردات اللغة وتراكيبها فى مختلف بيئات الحياة العربية المعاصرة المتنوعة؛ للاعتراف بفصيحها، وتهذيب منحرفها ليوافق فصيح العربية، والنص على المخالف منها لنظام العربية لاجتنابه والسعى إلى إيجاد بديله العربى السليم.

١٣- سد ثغرة مهمة فى مكتبة العرب المعجمية، وذلك بالاستفادة مما حققه الغربيون فى إنجاز معجمات ليس للعربية بها عهد، وكذلك بعض المستشرقين من أمثال دوزى وإدوارد لين وأوجست فيشر وغيرهم فى مجال معجم اللغة العربية ودراستها، حيث أشاروا إلى افتقار المكتبة المعجمية العربية إلى مثلها، واقترحوا المنهج الملائم لوضعها، وسعوا إلى التأريخ المتسلسل لاستعمال مفردات العربية منذ بداية وجودها حتى زمن تصنيف المعجم، وعملوا على استكمال مفردات مواد العربية لتشمل لغة زمان تأليفه حتى يتسنى لهم تحقيق بُغيتهم فى إيجاد المعجم العربى التاريخى.

١٤- الحاجة الماسة إلى إنجاز هذا المعجم، خاصة فى هذه الأيام التى تتكالب فيها كل قوى الشر والطغيان على بلاد العروبة والإسلام؛ لأن إنجازه سيشكل مصدرًا رئيسًا لكل ما نحتاجه من منجزات سابقينا فى مختلف مناحى حيواتهم، فاللغة – كما هو معروف – تشكل مرآة أصحابها، ويمكن الاعتماد عليها فى الكشف عن خصائصهم الفكرية والعلمية والثقافية والدينية والأدبية وغيرها؛ الأمر الذى سيوفر لنا – نحن العرب – مادة خصبة يمكن الاعتماد عليها فى إعادة بناء ذاتنا على أسس علمية عمادها التراث والأصالة".[1]

سابعًا: الموازنة بين المعجم الكبير والمعجم التاريخى:

تتضح أهمية هذه الموازنة من ملاحظة أمرين:

الأول: بزوغ الفكرة عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ فهو المؤسسة التى بدأ الحديث فيها عن المعجمين، وبدأ العمل فيها لإخراج المعجمين، وما زالت هذه المؤسسة هى المعنية بهما حتى الآن.

الثانى: نتيجة ما سبق ظهر لدى كثير من الناس لبس أو غموض حول التداخل بين المعجمين؛ إذ يحسب كثير من الناس أن المعجم الكبير هو نفسه المعجم التاريخى، ولا يدرك الفارق بينهما إلا القليل؛ ومن ثم وجب عقد هذه الموازنة.

---

(١) المعجم التاريخى للعربية، مجلة المجمع ١٠٩/ ١٢٣.

ولا شك أن المعجم الكبير الذى يُعنى بإصداره مجمع اللغة العربية بالقاهرة يُعَدّ نواة طيبة للمعجم التاريخى، غير أن الأول لم ينصّ على الترتيب الزمنى للمعانى وبيان تطورها، ولم يُعن فى الوقت ذاته باستقصاء نصوص الشعر والنثر على اختلاف عصورها، فقد جاء فى مقدمة المعجم الكبير[1]: وقد قرَّر المجمع أوّل ما قرَّر حين أراد الأخذ فى وضع هذا المعجم أنه لن يكون معجمًا تاريخيًّا للغة العربية؛ لأن المعجم التاريخى يحتاج إلى أعمال تمهيدية لم يُؤخذ فيها بعد، فليس بُدٌّ لوضعه من استقصاء نصوص الشعر والنثر على اختلاف عصورها وبيئاتها وتسجيل ما فى هذه النصوص من الألفاظ وتسجيل الأزمنة التى استُعملت فيها، واستخراج ما ينتجه ذلك من الأحكام العامة التى اقتضاها التطور بالقياس إلى معانى الألفاظ وصورها على اختلاف العصور، وهو جهد يحتاج إلى أن يُفَرَّغ له عدد غير قليل من الباحثين المختصين الذين يحسنون العلم بأصول اللغات ومناهج تطورها، حسب اختلاف العصور واختلاف البيئات وتباين الظروف المحيطة بالأجيال التى تتداول لغة من اللغات.

وحتى تتضح لنا الفكرة السابقة أعرِض لنقطتين أساسيتين هما:

١ - هل المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة يُغنى عن المعجم التاريخى اللغوى؟

قدَّم أحد العلماء دراسة حول هذا التساؤل ألخصها فى النقاط التالية[2]:

أ - أن المعجم الذى أراده "فيشر" هو معجم كبير وليس تاريخيًّا؛ فقد استعمل فيشر فى وصفه لمعجمه كلمة "تاريخى"، ونثر هذه الصفة - بالإضافة إلى العنوان فى مواضع متفرقة من المقدمة، ولكنه أطلق الكلمة إطلاقًا دون أن يقرنها بما يَحُدها، بل جعلها فى ثنايا كلام آخر يُفهم منه أنه يقصد جمعًا مستقصيًا للألفاظ فى محيطها

---

(١) المعجم الكبير - مجمع اللغة العربية: القاهرة، حرف الهمزة. (المقدمة) بتصرف.

(٢) انظر: المعجم الكبير للمجمع يغنى عن المعجم التاريخى اللغوى، د. ناصر الدين الأسد، بحث مقدم فى الدورة الثانية والسبعين بمجمع اللغة العربية، العدد ١١٠، ص ١٠٥-١١٤.

التاريخى التراثى المستعملة فى كتب المعارف والعلوم العربية والإسلامية، وعدم الاقتصار على ما ورد فى المعاجم المؤلفة منذ "عين" الخليل إلى المعاجم الحديثة التى غالبًا ما يعتمد بعضها على بعض، وينقل لاحقها عن سابقها مع إضافات أو تصحيحات قليلة. فهو القائل: "إن النقص المهم فى المعجمات التى صنفها العرب يرجع إلى أن مصنفيها ما كانوا يجمعون كل مفردات اللغة العربية، بل كانوا يجمعون الفصيح منها فقط، ومنتهى الكمال لمعجم عصرى أن يكون معجمًا تاريخيًّا، ويجب أن يحوى المعجم التاريخى كل كلمة تُدوولت فى اللغة، فإن جميع الكلمات المتداولة فى لغة ما لها حقوق متساوية فيها، وفى أن تُعْرَض وتُسْتَوضَحَ أطوارها التاريخية فى معجماتها، ولكن المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وجهة النظر هذه، إذ إنها لا تعالج الناحية التاريخية لمفردات اللغة، بل تقتصر على إيضاح الاتجاه النموذجى لها، أعنى أن مصنفيها إنما أرادوا التفرقة الدقيقة بين الفصيح من العربية وغير الفصيح، وذلك بوضع قانون للاستعمال الصحيح للكلمات. ويدل هذا الاتجاه دون شك – على إحساس لغوى دقيق عند اللغويين، ولكنه عاق القوة الحيوية الدافعة فى اللغة عن التقدم والتوسع فهو يرى أن المعجميين القدامى اكتفوا بجمع ما هو فصيح، أو ما اعتقدوا أنه وحده هو الفصيح، وهو يريد فى معجمه جمع كل الألفاظ الواردة فى كتب التراث، على أساس أنها جميعها لغة عربية.

ب – جمع "فيشر" بين كلمتى "كبير" و"تاريخى" فى صفة المعجم، حيث يقول "فيشر": "ومن أجل ذلك كله كانت الرغبة ملحّة فى إصدار معجم كبير جديد، وهذا ما أشار إليه المرسوم الخاص بإنشاء مجمع اللغة العربية؛ إذ تنص المادة الثانية "ب" على: " أن يقوم المجمع بوضع معجم تاريخى للغة العربية" فكيف إذن يجب أن يكون معجم اللغة العربية الفصحى ملائمًا للتطور العلمى للعصر الحاضر؟ الجواب: يجب أن يشتمل على كل كلمة – بلا استثناء – وُجدت فى اللغة، وأن تُعرض على حسب وجهات النظر السبع التالية: التاريخية، والاشتقاقية، والتصريفية، والتعبيرية، والنحوية، والبيانية، والأسلوبية"... ثم يقدم "فيشر" كلامًا طويلًا يوهم بأنه يفسر معنى "الوجهة التاريخية" ولكنه لا يلبث فى النهاية أن

يعود بنا إلى حيث بدأنا دون أن نخرج بطائل، وخاصة قوله: " ومن شأن المسائل التاريخية أن البحث فيها عرضة للنقض قل أو كثر؛ لذلك وجب الحرص والعناية بتقييد كل كلمة وعبارة وصلت إلينا فعلًا والانتفاع بها...".

جـ- فكرة الترتيب عند "فيشر" هى ترتيب المصادر وليس المعانى؛ حيث يقرر الدكتور ناصر الدين الأسد أن فيشر لم يبين لنا كيف "يجب أن يُعنى ببدء تطور الكلمة، كذلك من واجب اللغوى العناية بآخر تطورها"، كما أنه لم يبين لنا كيف "يجب أن تقيد – على حسب الترتيب التاريخى بين أقدم الشواهد وأحدثها – المواضع التى يتبين منها أنها تقدم أوضح صورة من التطور التاريخى للكلمة...".

وربما كان أوضح فهم لهذا الكلام أن المقصود منه هو ترتيب المصادر التى تُستخرج منها الكلمات "ترتيبًا تاريخيًّا" وليس ترتيب الكلمات نفسها؛ فنأخذ الكلمة الواردة فى النقوش الجاهلية ونضعها فى مادتها، ثم نشير إلى ما بعد النقوش من أقدم الشعر الجاهلى مثل الشعراء الأوائل الذين ذكرهم محمد بن سلام من أصحاب البيت والبيتين والثلاثة، ثم نتتبع الكلمة فى شعر شعراء الجاهلية بحسب تسلسل وجودهم – إذا أمكن ذلك – إلى المخضرمين فالأمويين فالعباسيين حتى القرن الثالث، وبعد المخضرمين أو معهم نشير إلى آيات القرآن الكريم وألفاظ الحديث الشريف التى وُجدت فيها الكلمة نفسها، ثم نتتبعها فى خطب الخلفاء الراشدين، وفى كتب التفسير فى القرن الأول، وفى كتب الفقه، وهكذا فى سائر الموضوعات من كتب الأدب والتاريخ والجغرافيا والرحلات خلال القرون الثلاثة الأولى بحسب تسلسل مؤلفى تلك الكتب خلال القرون الأَول فالثانى فالثالث.

وهذا أمر ميسور بعد تفريغ تلك المصادر عن طريق الحاسوب، والإشارة إلى المصادر التى وردت فيها الكلمة بحسب ترتيبها الزمنى، أى ترتيب المصادر وليس الترتيب الزمنى للكلمة، وقد يفيد الأول معنى الترتيب الثانى أحيانًا.

ثم يقرر الدكتور الأسد أن هذا الفهم السابق لا ينطبق على الجزء الذى بقى لنا من المعجم الذى صنعه فيشر وسماه المعجم "التاريخى"، فإذا أخذنا كلمة "أوابد"

من مادة "أبد" فى ذلك المعجم – وجدنا أنه بدأ فى الإشارة إليها بشعر الأخطل، فذى الرمة، فالنابغة، فالأعشى، فأمية، ثم عاد إلى الأخطل، فكتاب النهاية، فكتاب الميدانى، فالمفضليات، فعدى بن زيد، فذى الرمة "مرة ثانية"، فأبى كبير الهذلى، فكُثيِّر، فزُهَيْر.

فليس فى هذا شىء من الترتيب التاريخى، وهو مخالف لما فهمناه من كلامه، ويتطابق مع المعاجم العربية التى تنثر الشواهد والمصادر دون أدنى ترتيب تاريخى، فليس فيه من جديد فى هذه المادة سوى أنه رجع إلى كتاب النهاية وكتاب الميدانى.

د – تأثر فيشر فى معجمه (النموذج الأول) بمعجم أكسفورد؛ حيث يقرر الدكتور ناصر الدين الأسد ذلك؛ فقد جاء فى مقدمة المعجم الكبير: " ويظهر أن معجم أكسفورد التاريخى الذى نُشر قبل مولده (أى فيشر) بقليل كان مثله الأعلى، فشاء أن يطبق منهجه فى اللغة العربية..." ويذكر الدكتور الأسد فى بحثه عن معجم يُسمّى "معجم أكسفورد التاريخى" أنه طال، ولم يجد له أثرًا ولا ذكرًا فى الحقيقة وفى الواقع، وأن المعجم الموجود بين أيدينا عنوانه "معجم أكسفورد الإنجليزى" أو "معجم أكسفورد للغة الإنجليزية The Oxford English Dictionary" بغير وصف أنه تاريخى، وقد صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٣٣م، وهى بعد مولد فيشر بسنوات طويلة، وبعد بدء تفكيره فى المعجم بنحو ثلاثين سنة، فقد أوردنا قوله: "يرجع تفكيرى فى معجم كبير للغة العربية الفصحى يفى بالحاجات العلمية للعصر الحاضر إلى العُشْر الأول من القرن الأول الحالى "أى القرن العشرين" وقد عرضت أمرى هذا لأول مرة على الرأى العام فى سنة ١٩٠٧م فى باسل على المستشرقين الألمان".

ومع ذلك فلابد أن نستدرك أن التفكير فى بريطانيا فى معجم أكسفورد بدأ منذ بداية سنة ١٨٥٧م ثم توالى العمل فيه، وفى جمع مادته، والإضافات المتلاحقة إلى تصورات منهجه وترتيبه، وفى خطوات ومراحل شرحتها مقدمة المعجم شرحًا مفصلًا إلى أن صدر كاملًا فى طبعة أولى سنة ١٩٣٣م، وما بين يدى وأنا أكتب هذه الكلمة هى إعادة طبع لتلك الطبعة الأولى سنة ١٩٦١م، وقد كُتب على غُلافها أنها

Reprint، فهل اطلع فيشر على هذا المعجم قبل صدور طبعته الأولى وفى أثناء تجميع مادته؟ أو ربما كانت قد صدرت منه طبعة تجريبية ناقصة رآها فيشر فاستفاد منها وتأثر بها، ولكنه يقينًا لم يتأثر فى منهج معجمه بمعجم أكسفورد للغة الإنجليزية بعد صدوره فى طبعته الأولى سنة ١٩٣٣م.

ويذكر كذلك أنه إذا حاولنا أن نستخرج من مقدمة معجم أكسفورد منهجه شق علينا الأمر، لطول تلك المقدمة التى عُنيت بالتتبع التفصيلى لسير العمل فى المعجم وذكر العاملين فيه بأسمائهم وألقابهم ومناصبهم وبيان إسهاماتهم فى خطوات العمل ومراحله.

ثم نجد فى ثنايا تلك المقدمة الطويلة من حين إلى حين إشارات متناثرة عابرة موجزة إلى جزء من طبيعة المعجم ومنهجه، وربما كان التصدير Preface الذى سبق المقدمة قد تضمن نصًّا يفى بالغرض، هو: "إن الهدف من هذا المعجم أن يقدم تسلسل ألفبائى الألفاظ التى كوَّنت مجموع المفردات الإنجليزى من زمن أقدم السجلات "الوثائق" حتى اليوم الحاضر، مع جميع الحقائق المتصلة بها من حيث: شكلها "صيغتها"، تاريخ معناها، لفظها "نطقها"، اشتقاقها وأصل تاريخها، ثم أشارت المقدمة فى عدة مواضع إلى وجوب احتواء المعجم للاقتباسات والشواهد من النصوص المستعملة فيها الكلمة منسوبة إلى قائليها أو كاتبيها مع ذكر زمنهم.

هـ- المعجم الكبير يمتاز بالوضوح الواضح فى مقدمته التى كشفت عن منهجه بالعبارات الآتية:

"والمجمع يعرض عليك المنهج الذى رسمه لوضع هذا المعجم، وهو كما سترى يسير لا تكلف فيه، كما أنه فى الوقت نفسه أدق ما يمكن أن يُتخذ من المناهج... ثم يؤكد الدكتور الأسد أننا حين نسترجع ما استخلصه من مناهج "المعجم اللغوى التاريخى" لفيشر، و"معجم أكسفورد للغة الإنجليزية"، و"المعجم الكبير" لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، نجد أن المعجم الكبير قد وضع لنفسه منهجًا أوضح من منهجى المعجمين السابقين عليه، وأكثر تفصيلًا، وأقرب منهما إلى أن يكون معجمًا تاريخيًّا، مع أن مقدمته نصت على نفى أن يكون معجمًا تاريخيًّا حين ذكرت ما يلى:

"وقد قرر المجمع أول ما قرر حين أراد الأخذ فى وضع هذا المعجم أنه لن يكون معجمًا تاريخيًّا للغة العربية؛ لأن المعجم التاريخى يحتاج إلى أعمال تمهيدية لم يُؤخذ فيها بعد، فليس بُدّ لوضعه من استقصاء نصوص الشعر والنثر على اختلاف عصورها وبيئاتها، وتسجيل ما فى هذه النصوص من الألفاظ، وتسجيل الأوقات التى استُعملت فيها، واستخراج ما ينتجه ذلك من الأحكام العامة التى اقتضاها التطور بالقياس إلى معانى الألفاظ وصورها على اختلاف العصور، وهو جهد كما ترى يحتاج إلى أن يُفرغ له عدد غير قليل من الباحثين المختصين الذين يحسنون العلم بأصول اللغات ومناهج تطورها، حسب اختلاف العصور واختلاف البيئات وتباين الظروف المحيطة بالأجيال التى تتداول لغة من اللغات".

وهذه الأعمال التمهيدية التى ذكرت المقدمة أن المعجم التاريخى يحتاج إليها لم تتيسر للمعجمين السابقين أيضًا، فليس فيهما استقصاء لنصوص الشعر والنثر على اختلاف عصورها وبيئاتها، وتسجيل ما فى هذه النصوص من الألفاظ، وتسجيل الأوقات التى استُعملت فيها... لأن ذلك لم يكن ممكنًا بالعمل اليدوى للأفراد، قبل الحاسوب والتوسع فى استعمالاته، مع أنه حُشد لمعجم أكسفورد أعداد وافرة من العاملين على مختلف أنواعهم، ولم يخصص للمعجم الكبير إلا أقل القليل منهم، وجُمعت له أموال لم ينل المعجم الكبير إلا ما استطاع المجمع أن يرصده.

ولو طُبِّق منهج المعجم الكبير بتفصيلاته كلها التى ورد ذكرها فى مقدمته، وقد طُبِّق بعضها أو أكثرها فيما صدر من أجزاء، ولو جُمعت له المظان المختلفة من النقوش الجاهلية، إلى قصص أيام العرب، إلى كلام سجع الكهان، وخطب حكماء العرب، وشعر شعرائهم فى جاهليتهم، مرورًا بعهد الوحى وصدر الإسلام إلى الزمن الذى يقرره مجلس المجمع ومؤتمره، واستعمل فى ذلك الحاسوب مع خبراء متخصصين، لكان بين أيدينا معجمنا الكبير فى طبعته الجديدة، ولكان معجمًا تاريخيًّا بحق دون أن نسميه كذلك، ولتحقق لنا بأقل من التقديرات المالية والإدارية التى اشتملت عليها بعض الدراسات عن المعجم التاريخى والتى هولت الأمر، ورأت أن ما عند غيرنا خير مما عندنا، فى حين كنا السابقين فى إصدار معجم تاريخى لغوى هو

معجمنا الكبير الذى لا يحتاج إلا إلى مراجعة وإلى استكمال تطبيق أسس منهجه التى نص عليها فى مقدمته.

أما الدراسات اللغوية واللسانية فهى أمور مهمة، ولكنها لا تدخل فى صميم المعجم ولا يحتملها، وربما كان من الخير أن تُنشر فى كتب منفصلة تصدر عن المعجم من خارجه كما هو الشأن فى الكتب والأطالس التى تصدرها دوائر المعارف "الموسوعات" الكبرى.

ويرى أحد العلماء[1] أن "هناك تداخلًا بين المعجم التاريخى والمعجم اللغوى على مستوى المنهج، وعلى مستوى البنية الفنية، فى آن واحد، مما يتطلب أن يتكامل العمل فى المعجمين على النحو الذى يتحقق معه الانسجام والتناسق، ولكن هذا ليس هو الوضع الذى لا يتم العمل إلا فى إطاره؛ لأنه ما دام المعجم الكبير للغة العربية لم يكتمل، وليس ثمة أمل فى أن يكتمل فى المستقبل المنظور..، فلا مندوحة لنا عن الشروع فى صنع المعجم التاريخى على أساس ما يتوافر لدينا من معجمات للغة العربية مختلفة الألوان حتى هذه المرحلة، وإن كنا قد خالفنا فى ذلك المنهج الذى سلكه واضعو المعجمات التاريخية للغات العالمية الحية.

ويخلص الدكتور التويجرى إلى أننا بانتهاج هذا الأسلوب نكون قد ذللنا عقبة كؤودًا وواجهنا تحديًا أوليًّا، وتمهدت السبل أمامنا للتغلب على التحديات الأخرى التى تعترض المعجم التاريخى للغة العربية، ومنها الربط بين التاريخ اللغوى وبين المرحلة المعاصرة التى نجتازها.

وهو الأمر الذى يتصل بالمجال الزمنى بتأريخ اللغة. مما يطرح هذا السؤال: هل نقف عند المرحلة التى انتهت إليها كتابة المعجم اللغوى، أم نتوسع فى المجال الزمنى حتى نبلغ فى شرح معانى الألفاظ ودلالاتها فى المرحلة المعاصرة؟ على سبيل المثال، لفظ (أصولى) فى المعجم الوسيط يُعرف كما يلى: (الأصول: أصول العلوم: قواعدها التى تُبنى عليها الأحكام والنسبة أصولى) فى حين أن لفظ (الأصولى) اليوم له معانٍ

---

(١) انظر: المعجم التاريخى للغة العربية فى ضوء متغيرات الألفية، مجلة المجمع ١١٠/ ١٧٦، وما بعدها.

أخرى، إضافة إلى المعنى الأصلى، بحيث صار المعنى مرادفًا لمعانٍ لا تمت بسببٍ إلى الأصل، وهكذا دواليك.

٢- أوجه الاتفاق والاختلاف بين المعجم الكبير والمعجم اللغوى التاريخى:

أولًا: أوجه الاتفاق:

٥- كلا المعجمين يمتاز بصفة الموسوعية والشمولية؛ وقد جاء فى مقدمة المعجم الكبير أن بالمعجم ".. جانب لغوى عُنى بأن تُصَوَّر اللغة تصويرًا كاملًا، فيجد فيه طلاب القديم حاجتهم، ويقف عُشاق الحديث على ضالتهم. وفيه أخيرًا جانب موسوعى يقدِّم ألوانًا من العلوم والمعارف تحت أسماء المصطلحات أو الأعلام. ورُوعى فى هذا الجانب الجمع بين القديم والحديث ما أمكن، فذكر معطيات العلم العربى، وأُضيف إليها ما جاء به العلم الحديث، وفى هذا كله عمق ودقة، وأصالة وتجديد، ويسر وتيسير.

وقد أُنفق فيه ما أُنفق من جهد وزمن، وجُمعت من أجله مواد كثيرة، مُحِّصَت وصُفِّيت، ثم ضُغِطَتْ ورُكِّزَت، ولا تزال مع هذه غزيرة، ولا أدل على غزارتها من أن الجزء الأول له لم يتسع إلا لباب الهمزة، ويقع فى نحو ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير، ولن تقل عنه الأجزاء التالية عمقًا وغزارة[١].

أما بالنسبة للمعجم اللغوى التاريخى، فإنه يتضح من خلال النماذج التى قمت بتحريرها أن الشمولية والموسوعية شرط أساسى لبناء مادته وجمع أصوله، فالمعجم - من المتصور- أن يضم بين دفتيه كل كلمة قالتها العرب، وانتهاء بما أجازته المجامع اللغوية العربية والاستعمال المعاصر والمعاجم الحديثة، فضلًا عن تقديم الشواهد نثرًا وشعرًا على ذلك؛ مع ضرورة بيان التطور التاريخى للمعانى.

٦- منهجية كلا المعجمين؛ من حيث دقة الترتيب ووضوح التبويب، فقد أوضح المعجم الكبير فى مقدمته المنهج الذى يسير عليه، وقد اقترحتُ منهجًا

---

(١) المعجم الكبير: المنهج والتطبيق ، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨١م، ص٥،٦.

للمعجم اللغوى التاريخى. (انظر ذلك بشىء أكثر تفصيلًا فى المبحث الثانى من الفصل الثالث).

٧- كلا المعجمين يحتاج فى إعداد مادته إلى محررين أكفاء مدربين فى صناعة المعاجم، بالإضافة إلى فريق من الخبراء المتخصصين الذين لهم قدم راسخة فى اللغة وعلومها، وفى اللغات السامية والفارسية والتركية وغيرها، ثم العرض على لجان متخصصة من كبار رجال الأدب واللغة والعلوم والفلسفة...إلخ.

٨- كلا المعجمين لابد أن يعتمد على إدخال التقنية الحديثة المتمثلة فى الحاسب الآلى، وما يمكن تخزينه من ملايين الشواهد سواء فى الشعر أو النثر؛ مما يوفر وقتًا وجهدًا كافيين للإسراع بالعمل وإنجازه بشكل أسرع دقة، وإن كان اعتماد المعجم الكبير- حتى الآن- على التقنيات الحديثة ضعيفًا جدًّا.

٩- المادة التى يعتمد عليها كلا المعجمين واحدة؛ فمادة المعجمين هى القرآن الكريم والحديث النبوى وأقوال الصحابة والتابعين والمأثور من المُلَح والطرائف والأمثال والنوادر، والشعر باختلاف عصوره ابتداء من العصر الجاهلى وانتهاء بالعصر الحديث.

١٠- كلا المعجمين يستفيض فى ذكر الشواهد سواء من القرآن الكريم، أو الحديث النبوى، أو أقوال الصحابة والتابعين، أو المأثور من المُلح والطرائف والأمثال والنوادر، أو الشعر (باختلاف عصوره ابتداء من العصر الجاهلى وانتهاء بالعصر الحديث).

١١- كلا المعجمين يرى أن اللغة كلٌّ متصل الأجزاء يرتبط حاضره بماضيه، وهما معًا يُعِدّان لمستقبله، وللعربية قديمُها الخالد، وحاضرها الحىّ، ومستقبلها الزاهر، ومن الظلم أن نقف بها عند حدود زمنية معينة. وينبغى أن يعبِّر المعجم الحديث عن عصور اللغة جميعها، وأن يُسْتَشْهَد فيه بالقديم والحديث على السواء[1].

١٢- يتفق المعجمان أيضًا فى بيان تاريخ وفاة كل شاعر عند الاستشهاد بشعره،

---

(١) المعجم الكبير: المنهج والتطبيق، ص٤، ٥.

وإن كان المعجم الكبير لا يُعْنَى بترتيب المعانى تاريخيًّا أو زمنيًّا بصفة عامة، إلا أنه يُعْنَى بترتيب الشعراء حسب تاريخ وفاتهم داخل المعنى الواحد، فلا يسبق شاهد لشاعر من العصر العباسى شاهدًا لشاعر من العصر الجاهلى مثلًا؛ كذلك فإن المعجم اللغوى التاريخى يُعْنَى بترتيب المعانى بصفة عامة، فنجد المعانى مرتبة حسب تاريخ أول قائل للمعنى، فنجد مثلًا: الشاعر الجاهلى، ثم الشاعر الإسلامى، ثم الأموى، ثم العباسى، ثم الشاعر الحديث ... وهكذا.

١٣- يتفق المعجمان أيضًا فى شرح الكلمات الغامضة ـ أو التى تحتاج إلى تفسير حسب سياقها ـ الواردة فى الشواهد الشعرية والنثرية.

ثانيًا: أوجه الاختلاف:

١٤- يختلف منهج المعجم الكبير فى ترتيب المعانى عن منهج المعجم اللغوى التاريخى؛ فالمعانى فى المعجم الكبير تُرتَّب متدرجة من الأصلى إلى الفرعى، ومن الحسى إلى المعنوى، ومن الحقيقى إلى المجازى، ومن المألوف إلى الغريب، أما فى المعجم اللغوى التاريخى فإن المعانى تُرتَّب تاريخيًّا؛ فأول معنى ورد للكلمة فى العصور القديمة وليكن العصر الجاهلى ثم العصر الإسلامى ... وهكذا، دون مراعاة لعوامل الأصلى أو الفرعى، والحسى أو المعنوى، والحقيقى أو المجازى، والمألوف أو الغريب؛ فالغاية فى المعجم التاريخى غاية تاريخية بحتة؛ لرصد التطور اللغوى عبر العصور المتعاقبة للغة العربية، أما المعجم الكبير فلا علاقة له بالتاريخية، يقول المجمع نفسه عن المعجم الكبير:"وقد نَحَّتِ اللجنة عنه فكرة أن يكون تاريخيًّا؛ لأن ذلك يقتضى استقصاء النصوص الشعرية والنثرية فى مختلف دواوين الشعر العربى من العصر الجاهلى إلى العصر الحديث، وبالمثل فى مختلف الكتب والآثار الأدبية على مر العصور، وفى الأقاليم العربية المختلفة، ولا تستطيع أن تنهض بذلك عصبة من العلماء والباحثين، وهو ما تهدَّد معجم "فيشر"، مع أنه اقتصر فيه على أطوار الكلمات حتى نهاية القرن الثالث الهجرى؛ فما بالنا لو حاول المجمع أن يضيف إلى معجمه الحقب التالية؟!"[1].

---

(١) مجمع اللغة العربية فى خمسين عامًا، د. شوقى ضيف ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٨٤م، ص١٥٥،١٦٥.

١٥- الاستشهاد فى المعجم الكبير لا يخضع لمعيار ثابت؛ بمعنى أنه قد يُستشهد على المعنى الواحد بشاهد أو أكثر لشعراء من العصر نفسه، أما بالنسبة للمعجم اللغوى التاريخى فإنه يُستشهد بأسبق شاعر ذكر هذا المعنى فى هذا العصر المُسْتَشْهَد به، وربما يُستشهد بشعراء آخرين من عصور تالية، للدلالة على ثبات المعنى فقط، أو للدلالة على تطور المعنى إلى معانٍ أخرى.

٣- فكرة إبراز التطور الدلالى للمعانى تُعتبر هدفًا أساسيًّا من أهداف المعجم اللغوى التاريخى؛ حيث يظهر جليًّا لمستخدم المعجم التاريخى المعنى الأصلى الذى انبثقت وتطورت عنه معانٍ أخرى فى عصور تالية، وهذه الفكرة غير واضحة وغير مقصودة فى المعجم الكبير.

٤- مصادر المادة المعجمية فى المعجم الكبير معلومة ومحددة، فهى تبدأ بجمع المادة فى جذاذات من المعاجم القديمة كالتاج واللسان والمصباح المنير وأساس البلاغة وكتب الأفعال لابن القوطية وابن القطاع والسرقسطى، وكذلك ديوان الأدب للفارابى، والحيوان للجاحظ، والجيم لأبى عمرو الشيبانى، بالإضافة إلى كتب المفضليات والحماسة والنوادر ومعجم الأمثال ومعجم الأعلام للزركلى وكتب غريب الحديث وتراجم الصحابة والتابعين، بالإضافة إلى المعجم الوسيط... إلخ. أما بالنسبة لمصادر المعجم اللغوى التاريخى، فهى لا حد لها، ولا بد فيها من الاعتماد على الأعمال المخزنة تخزينًا إلكترونيًّا فتشمل كل الشعر العربى وكذلك التراث والذخائر الأدبية... إلخ. (وسيرد ذكرها لاحقًا فى المبحث الأول من الفصل الثالث).

***